مشرقيات

فى الأدب العربى الحديث

للأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى

الأستاذ بجامعة لينينجراد

— ٢ —

ويعد كل من الشيخ محمد عبده (١٨٤٣ — ١٩٠٥) وجورجى زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤) فى مقدمة الكتاب الذين امتاز بهم هذا العصر. نعم إن أولهما لم ينتج شيئاً من المؤلفات الأدبية، لكن ذلك لا يدعو إلى انكار الدور الهام الذى لعبه، فبفضل جهوده استقر رأى المسلمين على السير فى طريق التجديد، وازداد نفوذ الحركة الأدبية شيئاً فشيئاً، بحيث أثر على الشطر الأكبر من المصريين. وظهرت فى خلال ذلك أنواع أدبية جديدة كالرواية التاريخية. واصطبغت هذه الأنواع بصبغة خاصة تختلف كل الاختلاف عن نظيراتها، فكان الكاتب يوجه جل اهتمامه إلى تنسيق الألفاظ، إلى ان جاء المنفلوطى (١٨٧٦ — ١٩٢٤) فاتجه بهذا النوع إلى طريقه الكمالى

أما المدرسة السورية المتأمركة فقد برزت إلى الميدان فى خلال السنوات العشر الأولى من القرن العشرين، وهى على ما نظن كانت أقوى المدارس الأدبية العربية الحديثة من حيث استقلال شخصيتها. وزعماؤها: أمين الريحانى (١٨٧٩) وجبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) الذى كان يمثل طابع جهودها. فقد رأس بمدينة نيويورك جماعة «الرابطة القلمية»، وكانت تلك الجماعة الأدبية تنشر دعوتها على صفحات مجلة «الصائح» التى تولى إدارتها عبد المسيح حداد. ومن أهم الصفات المميزة لهذه المدرسة، أنها قطعت كل صلة بأساليب الأدب القديم وبطريقة الكتابة العادية، واصطفت الأساليب القلمية المتطورة، أساليب الرسائل النثرية، والشعر المنثور المنمق إلى حد التكلف. وقد نال كثيرون من أنصار هذه المدرسة شهرة ذائعة فى العالم العربى (حتى تونس والحجاز) فتأثر الكتاب بأسلوبهم. ومنهم أيضاً الشاعر الرواى ميخائيل نعيمه (١٨٨٩) والشاعر رشيد أيوب (١٨٦٢) وإيليا أبو ماضى (١٨٨٩) ونسيب عريضه ... الخ.

وللمدرسة السورية الأمريكية بالبرازيل مركز خاص وأهمية محلية لا تأثير لها فى البلاد العربية. والشعر هو المفضل المختار عند أنصار هذه المدرسة التى قوامها: الياس فرحات (١٨٩١)، ورشيد سليم خورى (١٨٨٧)؛ وفوزى المعلوف (١٨٩٩ — ١٩٣٠). وقد شرع شكرى الخورى (١٨٧١) فى محاولة طريفة، هى استعمال اللهجة السورية الدارجة فى الكتابة الأدبية، ولكن أحداً لم ينسج على منواله

وقد انتهت سيطرة المدرسة السورية المتأمركة بانتهاء الحرب العظمى، فانقطعت الصلة بين روادها وبين الحياة الراهنة فى العالم العربى، ورجع بعض زعمائها (كالريحانى ونعيمه) الى وطنهم الأول. وقد عادت الآن زعامة الأدب الى مصر وتركزت فى المدرسة الموسومة بمدرسة العصريين. وترجع بوادر هذه الزعامة إلى عام ١٩٠٧ حين تألف حزب الأمة وأنشأ «الجريدة» وتولى رياسة تحريرها أحمد لطفى السيد مترجم «الأخلاق» لأرسطو ومدير الجامعة المصرية الآن. وفى عام ١٩٢٢ التف الكتاب المجددون حول جريدة «السياسة» التى يتولى إدارتها أحد الكتاب العصريين الذائعى الشهرة: محمد حسين هيكل بك (١٨٨٨)، وأهم ما تمتاز به هذه المدرسة التعمق فى فكرة الأدب وفى حاجات رجاله المتزايدة يوماً بعد يوم، وهى تختلف عن المدرسة السورية المتأمركة فى أنها توجه جل جهودها إلى الأدب العربى القديم، وتبدى شغفاً خاصاً بالنقد وبتاريخ الأدب. وفى مؤلفات أنصار هذه المدرسة، نلاحظ للمرة الأولى أن روح الوطنية المصرية الخالصة تحل — عن عمد وإدراك — محل القومية العربية. وقد وجهت هذه المدرسة عناية خاصة إلى «الأقصوصة المصرية»، كما استطاعت أن تكسب شهرة ذائعة وأنصاراً مخلصين متحمسين فى سائر الأقطار العربية، بفضل اتساع نطاق الصحافة وانتشارها. وهكذا عادت مصر فتولت الزعامة للمرة الثانية فى تاريخ الأدب العربى الجديد، وستظل محتفظة بهذه الزعامة، مرتكزة على دعائمها بثبات أعظم مما كانت عليه فى نهاية القرن الماضى

٢ — أنواع خاصة

ا — الشعر: لا يزال الشعر أكثر الأنواع انتشاراً وأدقها

محافظة ، شأنه فى عصور الأدب العربى القديم . ففى جميع الأقطار العربية نجد شعراء لا عداد لهم . لكن تاريخ الشعر فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ليس إلا تاريخ تجديد شباب الشعر القديم بطرق معدلة كل التعديل . فبينما كان الشعراء فى الماضى يقلدون شعر عصور الانحطاط نراهم الآن ينسجون على منوال المتنبى والشعراء العباسيين وأحياناً شعراء الجاهلية . وقد لعب ناصيف اليازجى (١٨٠٠ — ١٨٧٦) دوراً هاماً فى سوريا ، إذ ظل محافظاً دقيقاً ، لكنه كان مالكا لناصية اللغة . وظهرت بوادر الأثر الأوربى فى دوائر أخرى ظهوراً واضحاً ، فرأينا فرنسيس مراش (١٨٣٦ — ١٨٧٣) الشاعر الحلبى ، يحاول التعبير عن أفكار فلسفية اجتماعية فى قصائد يسودها روح التشاؤم . أما فى مصر فقد جاء تجديد شباب الشعر العربى متأخراً نوعاً ، فاستهل الحركة محمود سامى البارودى (١٨٣٩ — ١٩٠٤) واسماعيل صبرى (١٨٥٤ — ١٩٢٣) ، وقصائد كل منهما تطابق كل المطابقة أسلوب الشعر العباسى أو القديم ، بل إنهما كانا يشيران أحياناً بوضوح الى القصائد الأصلية المعارضة ، ونلاحظ أن الحياة تدب بقوة فى مؤلفات الشعراء المصريين المتعاقبين أمثال شوقى (١٨٦٨—١٩٣٢) ، ومحمد حافظ ابراهيم (١٨٧١—١٩٣٢)

قبل الحرب العظمى كان شوقى شاعراً بالعبية (شاعر الأمير) وكان من نوع ممتاز ، قديراً فى صناعة اللغة وصياغة الألفاظ ، لكنه حصر شعره فى دائرة الأسلوب التقليدى . وبعد الهدنة أخذت شهرته تتطاير فى أنحاء العالم العربى وأطلق عليه لقب « أمير الشعراء » . وقد حاول شوقى فى السنوات الأخيرة أن يخلق المأساة « التراجيدى » فى الأدب العربى . أما حافظ إبراهيم فهو من أبناء الشعب ولذا انحصر ميله فى المواضيع السياسية والاجتماعية مع النسج على منوال المتقدمين من وجهة الاسلوب . وثالث الشعراء المصريين المعروفين هو خليل مطران ، وقد ولد ببعلبك بسوريا حوالى سنة ١٨٧١ وأبدى نبوغاً ممتازاً فى المصنفات الغنائية والروائية ذات الاسلوب الطليق الحر والمنوع (خصوصاً فى القافية والوزن) . وهنالك كتاب من الجيل الجديد نشر دواوين طليعة كعباس محمود العقاد المولود فى سنة ١٨٨٩ ، وابراهيم عبد القادر المازنى المولود فى سنة ١٨٧٧ ، واحمد محرم المولود فى سنة ١٨٧٧ ، واحمد زكى المولود فى سنة ١٨٩٢ . ومصطفى صادق الرافعى المولود فى سنة ١٨٨٠ ، واحمد نسيم المولود فى سنة ١٨٧٨ . وفى الأيام الأخيرة أظهر الجمهور ميلا إلى تذوق شعر أحمد زكى أبى شادى . ومن الصعب أن نتكهن بالشاعر الذى سوف يحمل زعامة الشعر العربى بعد شوقى وحافظ

وفى العراق جمع الشعر فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين أغرب الصفات على اختلافها وتباينها . فقد ازدهرت التقاليد الأدبية القديمة فى المدن الكبرى كبغداد والموصل . وقاد حركتها شعراء أفذاذ أمثال عبد الغفار الأخرس (١٨٧٣ — ١٨٠٥) وعبد الباقى العمرى الفاروق (١٧٨٩ — ١٨٦١) كما أن أسرة الألوسى لعبت دوراً هاماً فى هذا الميدان . وفى النجف الأشرف وكربلاء ، مدينتى الشيعة المقدستين ، ازدهر الشعر العباسى وشعر البادية الصحيح فى الأوساط الأدبية الشيعية . ولم نصل الى معرفة أصول هذه المدرسة إلا بفضل ما نشره أحمد عارف الزين زعيم الطائفة الشيعية بصيدا (سوريا) . وكان أبرز زعمائها ابراهيم الطباطبائى (١٨٣٣ — ١٩٠١) . وفى العراق كما فى مصر — حاول المجددون إعادة الشباب إلى الشعر العربى القديم . وأتيح لنا أن نقتبس هذه الظاهرة بوضوح فى شعر عبد المحسن الكاظمى (١٨٦٥ — ١٩٣٤) . وبالنظر إلى أنه يقيم فى مصر منذ نهاية القرن الماضى فقد خصص بعض قصائده لسرد الحوادث المصرية . وهنالك شاعران آخران جديران بالذكر وهما يمثلان الاتجاه الجديد خير تمثيل ، أولهما جميل صدقى الزهاوى (١٨٦٩ — ١٩٣٦) ومعروف الرصافى (١٨٧٥) . وقد كان الزهاوى مشربا إلى أقصى حد بالروح الفلسفية ، وكان يطلق لنفسه الحرية التامة فيما يتعلق بالأسلوب . ولم يتردد مطلقاً فى ابتكار الاوزان والقوافى المختلطة . وكثيراً ما نظم الشعر المرسل حيث يسير على الوزن دون القافية . بعكس الرصافى إذ حصر شعره فى دائرة الاسلوب التقليدى ، لكنه يمتاز بعبقرية الشاعر الواقعى ، سواء فى شعره الغنائى والوصفى ، أو السياسى والاجتماعى ؛ وقد جاوزت شهرة هذين الشاعرين حدود بلادهما . أما فى سائر الاقطار العربية ، فالشعر رغم وفرته وكثرة إنتاجه ، لا تتعدى أهميته الحدود المحلية

ومن شعراء سوريا سليم عنحورى (١٨٥٥) وهو شيخ مسن على اتصال دائم بمصر ومتشبع بالآراء العصرية إلى حد بعيد ، وعيسى اسكندر المعلوف (١٨٦٩) شاعر وعالم من نوع وحيد ،

وهنالك طبقة من كتاب الجيل الحديث اشتهروا الآن فى الأوساط الادبية ، نخص بالذكر منهم : شفيق جبرى (١٨٩٥) وخليل مردم (١٨٩٥) وحليم دموس (١٨٨٨) وأحمد عبيد ، ومحمد البزم (١٨٨٧) ، ومحمد الشريق (١٨٩٦) وسليمان الأحمد المعروف باسم « بدوى الجبل » الخ

وفى المهجر كثير من الشعراء الذين تطبع مؤلفاتهم وتذاع فى بلاد أخرى ، بخلاف الأمر فى سائر الأقطار العربية حيث لا تتعدى شهرة الشعراء النطاق المحلى ولا يقدر مؤلفاتهم سوى مواطنيهم (مثال ذلك محمد الشاذلى خازندار بتونس) . أجل ، إن الشعر الغنائى العصرى منوع المقاصد ، مشبع بروح الفن الناضج الدقيق ، ولكن المجال لا يزال متسعاً لابتكار أساليب أرحب مدى . وقد ظهرت ترجمة « الالياذة » للبستانى فى عام ١٩٠٤ لكنها لم تسفر إلا عن بعض محاولات تقليدية ، أما الشعر الشعبى « الزجل » الذى تستعمل فيه العامية بدلاً من الفصحى ، فالواقع أنه لم ينتج سوى مؤلفات فكاهية انتقادية ، شأنه كما كان فى الأزمنة السالفة (أسعد رستم بأمريكا) ، وأكثرها يرمى الى أغراض سياسية (عمر الزعنى بسوريا)

ب — القصة والأقصوصة : لم تنشأ القصة أو الأقصوصة من أصل عربى كالمقامات والقصص الحماسية بل ترعرعا بتأثير الأدب الأوربى المباشر . وقد ظهرت أولاً القصة التاريخية التى لم تصل الى شأو الكمال من الوجهة الأدبية . كان أول بزوغ هذا النوع فى محيط البستانى بسوريا ، وعنى به ابنه سليم (١٨٤٨ — ١٨٨٤) بقصد اتخاذه وسيلة فى التربية والتعليم . وفى عام ١٨٨٤ وضع جميل المدور (١٨٦٢ — ١٩٠٧) أخبار أيام هارون الرشيد (؟) فارتفع بهذا النوع إلى مكانة أسمى ، وإن كانت تلك « الأخبار » أقرب إلى الآثار منها إلى الأدب ، وقد بلغت القصة التاريخية ذروتها فى مؤلفات جورجى زيدان ، حيث كان يطالع القراء بقصة فى كل سنة تقريباً ، قصة جديدة من سلسلة تاريخية طويلة الحلقات

ولقد ولد زيدان مؤرخا بطبعه ، فأراد أن يتخذ من قصصه وسيلة لجعل التأريخ فى متناول العامة ، وأن يهيئ للجمهور مطالعات طريفة سهلة ، فالغرض الذى كان يرمى اليه هو التعليم والتثقيف ، ولذا تراه لا يعلق أهمية تذكر على المسائل الأدبية البحتة . وقد نالت مؤلفاته اقبالاً منقطع النظير ، بل إنها كانت فاتحة عهد جديد فى الأدب العربى الحديث

(يتبع)

ترجمة محمد أمين حسونة

بيان

من لجنة الجامعيين لنشر العلم

أعلنت اللجنة قبل طبع « تراث الاسلام » أن ثمن الجزءين معاً ١٥ قرشاً صاغاً إلى ٨ سبتمبر و٢٢ قرشاً صاغاً بعد هذا التاريخ . فلما صدر الكتاب فى نحو ستمائة صفحة ، وتسعين صورة فنية على ورق صقيل ، وعرفت اللجنة تكاليفه الباهظة اضطرت إلى رفع ثمن الجزءين إلى ٢٥ قرشا صاغا ، وقد أرسلت اللجنة لكل مشترك جزءيه بنفس الثمن الذى دفعه من قبل (١٥ قرشاً صاغاً) ، كما رأت تقديراً لعطف المشتركين على جهودها أن تعطيهم الحق فى تخفيض ٢٠ ٪ من ثمن الكتاب التالى الذى تصدره اللجنة وهو « قصة الكفاح بين قرطاجنة وروما » لتوفيق الطويل ، ويصدر فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وثمنه عشرة قروش لا تشمل أجرة البريد ؟

لجنة الجامعيين لنشر العلم